

عراك في معترك...

أى معترك!

للأستاذ زكى طليحات



« نحن هنا عند استهلال تطور يستطيع أن يحدث تجديداً في الحياة الأدبية ، أو قل يجب ثروة إليها ، ولا يكون هذا الجلب وذلك التجديد إلا بعد نضال عنيف » .

هكذا ختم الأستاذ المستشرق « بروكلين » دراسته لسرحية « مفرق الطريق » للدكتور بشر فارس . وذلك في الجزء الثالث من الكتاب الثالث لتاريخ الآداب العربية ، وهو الكتاب الذى وقفه المستشرق السابق الذكر للأدب العربى المتحدث .

وبهذا الحكم نفتتح ردنا على مقال الأستاذ محمد متولى الذى نشرته « الرسالة » فى عددها ٣٧٦ ، لنسكب فى واعيته أن « مفرق الطريق » عمل أدبى إذا جرى النزاع عليه ، وإنما هو يجرى فى معترك... أى معترك !

وأية ما نقرره أن الحديث حول هذه المسرحية يمتد من جديد بمد أن طويينا مكرهين صفحة منه مع « ناقد أدب »^(١) وأن المسرحية لا تبرح تشغل أذهان الأدباء ، إنما عن إعجاب وتقدير ، وإنما عن استغراب وبطء فهم



الأستاذ متولى فى مقاله المذكور يهدف إلى غرضين رئيسيين :

أولها : أنه يريد أن يزيل الخصومة للقاعة بين الدكتور بشر فارس والأستاذ الشاعر على محمود طه ، وهى خصومة أساسها - كما كتب عنها الأستاذ متولى نفسه فى مطلع مقاله المذكور -

أن بشر فارس نقد شعر الثانى قائمه بالإغارة والصلاح من المتقدمين والتأخرين ، فنضب الشاعر وانبرى يكيل له صاعاً بصاع ، قائمه بأنه أخذ فى كتابة مسرحيته « مفرق الطريق » من آراء وردت فى قصيدة « اللقمة الباردة » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . فكان أن نصّب الأستاذ متولى نفسه قاضياً بين الخصمين ، على ما بين التهمتين من اختلاف فى الجوهر وملازمات الأحوال ، ليقتضى بأن الخصمين شريفان ، وأن السرقة لم تقع من جانب واحد منهما ، ودعم رأيه هذا بأن للفن ليس « فكرة » ، وإنما هو « صورة » أولاً وأخيراً

والموقف كريم مهما كانت بواعثه ، ومهما بمدت أسبابه من الموضوع الذى نحن فى صدده ، وهو تحديد قيمة هذه المسرحية من الناحيتين الفلسفية والفنية .

بيد أننا نبر بالكرم لنقول إن بشر فارس ما كان فى حاجة إلى الحكم الذى قضى به الأستاذ متولى فيما له علاقة بالمسرحية ، لأن أحداً - حتى ولا « الناقد الأدب » - لم يزعم أن بشراً سرقها من كاتب مسرحى متقدم أو متأخر ، وإنما المسألة محسورة فيها إذا كان بشر قد استلهم فى كتابة مسرحيته هذه من النيلسوف (كانت) التى نعت إليه قصيدة الأستاذ العقاد ، أو هو استوحى فلسفة (بيرجسون) .



وأما ما أورده الأستاذ متولى دطامة لحكمه هذا من أن الفن (صورة) وليس (فكرة) فأمر لم ينب عن ذهننا فيما سبق أن أجريناه فى حديثنا السابق ، بل سجلناه فى أسلوب أوضح وأدنى إلى الثقافة العربية^(١) ، إذ قررنا « أن المانى والفكر التداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس ، نعى دوارة فى نفس الجاهل والسوق ، والتعلم والأدب ، وإنما العبارة بطرائق معالجتها ، وبالكسب التى تضفى عليها ، من حيث حسن التأليف ، وجودة

(١) الرسالة رقم ٣٧٠ صفحة ١٢٥٩ سطر ٢٦ العمود الثانى

(١) « الرسالة » رقم : ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

وبراعة الحوار ولطفه ، وعمق التفكير وانسيابه إلى أعماق النفس يكشف عن خفاياها . . . الخ . ولكننا لم نطالع شيئاً من هذا في مقال الأستاذ متولى ، بل ظالمنا آراء تنطوح بين علم النفس وعلم الجمال ، والمعلمان من صميم الفلسفة ، وإذا بالأستاذ متولى الذى نمت حديثنا عن الفيلسوفين (كانت) و (بيرجسون) « بالفلسف » يكتب فصلاً في الفلسفة — ونأبى أن نقول على غراره : في « للفلسف » — وإذا بأسماء (ريبو) و (بيكون) وغيرها تجرى بمنحة مطلقة للنان ، مما يدل على أن الأستاذ متولى أراد « بفنية المسرحية » أمراً غير ما يدل عليه المعنى المتداول المصطلح عليه لدى رجال المسرح ، إذ هو يريد بها ، ولا شك ، « للناحية الزمزية الفنية » للرواية ، يأتي بهذا اللبس في فصل من القول يجب أن يكون قائماً على الدقة والإحكام .

والنقد الذى أراداه الأستاذ متولى لمسرحية (مفرق الطريق) ، هو للمقدمة أكثر منه للمسرحية ، هذا في حين أن « المقدمة » أمر عارض ، لأنه غير المسرحية التى هى مناط للقول في الجدل . وما أحسب أن بشراً كان يتجشم كتابتها متبعهاً لولا حرصه على أن يقرب المسرحية إلى أذهان القراء وييسر لهم أمر استيعابها وهى حدث جديد في التأليف المسرحى المعرفى

وعلى اعتبار أن « المقدمة » هى العنصر الأول ، كما يعتمد أن يراها متولى ، لينتقصها ثم ينفذ من هذا إلى انتقاص قدر المسرحية نفسها ، فإن الأخطاء التى وقع فيها كاتبها ، وما هى منالنا للكلام فيها ؟

لا أخطاء ولا منالنا كلام ، وإنما هو ناسف وعتت من جانب الأستاذ متولى ، ومرد هذا كله أن فكرته عن الرمزية محدودة ضيقة ، إذ هو يريد أن يخضع كل ما يؤلف في الرمزية لسا وجده عند (ريبو Riboi) فقط ، و (ريبو) هو واحد ممن كتبوا في الرمزية وعلم النفس ، وواحد ممن

التركيب والابتداع والنفس المتبكر الخلاق ، وهنا مجال التفاوت بإراز الشخصية للكاملة المستقلة .

ولم تدل بهذا في معرض الدفاع عن بشر فارس لأنه أغار على قصيدة الأستاذ العقاد فانتحل مذهبها الفلسفى لسرحيته ، ولكننا أوردناه لندفع زعماً آخر لا يدور حول المذاهب الفلسفية الرسومية وإنما يدور حول حقيقة من حقائق النفس البشرية التى هى عامة ومبذولة لكل كاتب ، ألا وهى (الصراع بين العقل والشعور)

قررنا هذا المبدأ الذى له أصل عند نقاد الغرب^(١) والذى عليه نقاد الغرب ، محاولين أن نضع له قيوداً خشية أن يصبغ الأمر فرضي فننتحل المانى وتنتصب للصور

وانتصار الفن على (الصورة) أو (الشكل) كما يرى الأستاذ متولى ، لا يعنى أن يكون هناك فن رفيع وفن رخيص ، وفن أصيل مبتكر وفن متبع مقلد ، وشاعر يسرق وكاتب يعتمد . فالتسليم بأن المانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها الكتاب ، وبأن المتقدمين لم يتركوا شيئاً للمتأخرين ، كل هذا وما يدخل في مناه ، لم يحجز النقد عن أن يقيم الحدود بين الإثارة على المانى وصلحتها ونسخها وبين الاستلهاً والتوليد والاستيعاب والتخرج .

أما للنرض الثانى من مقال الأستاذ متولى ، فنقد مسرحية (مفرق الطريق) . وفى هذا المجال وثب الأستاذ متولى وثبة نقول إن الترفيق لم يحالفه فيها كما سنبين :

أراد الأستاذ متولى أن يحدد (الناحية الفنية) للمسرحية ، فإذا به يتحدث فى غير ذلك ، ذلك أن المعنى المباشر (للناحية الفنية) لمسرحية ما ، هو خصوها اشرائط الفن المقطوع بها ، من حيث مراعاة بلاغة العرض لحوادثها وجودة الحبك لمشاهدها ،

(١) كتاب (العمدة) لابن رشيق ، و (اللؤلؤ السائر) لابن الأثير (والصناعتين) لأبى ملال المكارى

اليوم^(١) فيما كتبه (ريبو) خاصاً بالخيلة التي هي أساس في كتابه المذكور، وذلك كما وردت في مؤلف كبير يدرس اليوم في جامعة السربون بباريس، وضمه جبهة من علماء فرنسا :

« يلوح لنا أن علم النفس عند (ريبو) في مسائل الخيلة والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة » ، ومن ذلك ترى أن حديث (ريبو) عن الخيلة في جميع العناصر المختلفة ، قد أصبح موضع نظر ، بعد أن بين الفيلسوف الأمريكي المعاصر (وليم جيمس) وغيره ، أن مجرى الضمير متصل متلاحق من حيث إنه حقيقة متحركة ، ومن حيث إن الفكر في تطور دائم . وكذلك قرر (بيرجون) الفيلسوف الفرنسي المعاصر ، أن الحياة النفسانية اندفاع واجتماع في زمن متصل الحركات .

زكي طهيرات

(البقية في العدد القادم)

(١) كما جاء في كتاب مطول من علم النفس Traité de Psychologie

لبورج دوماس ، طبعة مارس ١٩٢٤ . الجزء الثاني ص ٤٤١

أسقطت الآراء الفلسفية الحديثة أكثر ما ذهب إليه فيهما ، كما سنشرح هذا

ويؤسفنا أن نقرر، لو أن الأستاذ مقول ، وهو الذي يحمل شهادة ماجستير للفلسفة ، تعقب المراحل الحديثة التي مر بها علم النفس بعد المهد الذي أنف فيه (ريبو) كتابه (الخيلة الخلاقة imagination créatrice) الذي هو عمدته في النقد ، أي بعد عام ١٩٠٠ ، لعرف أن علم النفس الذي أفادت منه الرضوية كثيراً قد دخل في طور جديد تبدلت على أثره أوضاع في الأدب عامة ، وفي الرضوية خاصة ، كما تشهد بذلك مسرحيات (بيراندللو) ، (جيرودو) ، (جانتيوم) ، وأن الرضوية المستحدثة أصبحت مدارها خفايا للنفس وبواطن الأشياء ، وهو ما عبر عنه بشر فارس في مقدمته : « استنباط ما وراء الحس من المحسوس ... الخ »

وقبل أن ننقل من هذا نود أن يقف للقارئ على آراء علماء

أزهي عصور العرب والتاريخ تخلدها

دنانير

أعظم إنتاج في عالم الشرق

تتجلى فيها عبقرية أم كلثوم قشلا وغناء

مع أقوى مجموعة من الممثلين

حفلات يومية احجزوا تذاكركم من الآن

بسينما ستوديو مصر

إخراج أحمد بدرخان - إنتاج شركة أفلام الشرق - توزيع منتخبات هنا فيلم